الحقيبة المزيفة

محمود سالم

الحقيبة المزيفة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الحقيبة المزيفة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٧١٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
بو عمير ... يدخل معركة بالصدفة!	١١
الشرطة تقبض على «بو عمير»!	١٧
معركة هادئة ... في الظلام!	٢٣
معركة في الظلام!	٢٩
عندما تحوَّل ... الليل إلى نهار!	٣٥
المعركة الأخيرة بالكلام!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

بو عمير ... يدخل معركة بالصدفة!

ابتسم «بو عمير» وهو يرى ما يحدث حوله ... كان يجلس في هذه اللحظة في صالة مطار «لوس أنجلوس» في انتظار الطائرة التي سوف يَعبُر بها المحيط إلى «روما» ... كان الجو حارًّا بعضَ الشيء، حتى إنه خلع البلوفر الذي يلبسه ووضعه فوق ركبتَيه، ثم أمسك بكتاب يقرأ فيه.

فقد حدث فجأةً أن تدافعَت أقدامٌ كثيرة حوله، لم تلفت نظرَه في البداية؛ لكن عندما توقَّفَت بجواره، ألقى نظرة سريعة على حقيبة ملابسه الصغيرة الموضوعة بجواره حتى لا تتوه في زحام الأقدام، ثم ابتسم ... فقد رأى ما يُثير ابتسامتَه.

كان «بو عمير» قد خرج في مهمة خاصة كلَّفه بها رقم «صفر» في أمريكا، وعندما انتهى منها استعدَّ للعودة إلى المقر السري. ولما كان موجودًا في هذه اللحظة في «لوس أنجلوس»، فقد كان عليه أن يَصِل إلى مطارها ليركب منه الطائرة.

كان ما أثار ابتسامةَ «بو عمير» هو تصرُّفُ أحد الرجال الواقفين حوله ... فقد اقترب أحدهم وأخذ الحقيبة الأصلية الخاصة بـ «بو عمير»، ثم وضع مكانها حقيبة مشابهة تمامًا لحقيبة «بو عمير» ... واختفى في هدوء ... في نفس الوقت ظلَّت الأقدام الكثيرة واقفة حوله، وكأنها تمثِّل ستارًا يُخفي سارق الحقيبة الأصلية، ليضع بدلًا منها الحقيبة المشابهة المزيفة.

فجأة ... سمع سؤالًا من شخص يقول: هل أنت ذاهب إلى «روما»؟

رفع «بو عمير» عينَيه، ثم قال وهو يبتسم: هل تسألني أنا؟

وقعَت عينَا «بو عمير» على رجل هادئ الملامح، تغطِّي وجهَه ابتسامةٌ صغيرة، يلبس نظارة بيضاء، وله شارب كثيف، ووجه أحمر تمامًا.

ردَّ الرجل: نعم!

قال «بو عمير»: إنني فعلًا في انتظار الطائرة!

جلس الرجل بجواره وهو يقول: هل تسمح لي؟!

فكَّر «بو عمير» بسرعة: إن هذه الخطة ليست ذكية تمامًا من هؤلاء الرجال، لكن لا بأس بها.

أخفى «بو عمير» ابتسامتَه وهو يفكر: لقد أوقعوا أنفسهم في يد الشياطين، وقدَّموا مغامرة جديدة دون أن يعرفوا.

قال الرجل: يبدو أنك لست أمريكيًّا ولا أوروبيًّا، وأظنك من الشرق الأوسط!

ابتسم «بو عمير» وأجاب: هذا صحيح!

قال الرجل: إن ملامحك تكشف جنسيتك!

سكت لحظة، ثم قال: اسمي «فرانك»، وأعمل في مجال التجارة مع دول في منطقتكم في السودان، والكويت، والمغرب.

ابتسم «بو عمير» وقال: يُسعدني أن أتعرَّف عليك!

سأل «فرانك»: من أين أنت إذن؟

أجاب «بو عمير»: من الجزائر!

هتف الرجل، وكأنه وجد صديقًا قديمًا: أهلًا بكَ، لقد تابعتُ تاريخ كفاحكم لفترة طويلة، أنتم حقيقةً شعبٌ عظيم!

كان «بو عمير» يتحدث مع «فرانك»، لكنه في نفس الوقت كان يفكر في شيء آخر ... إن هذه الحقيبة المزيفة لا بد أنها تُخفي سرًّا، وهو سرٌّ خطير، وإذا كان هؤلاء الرجال يريدون أن يستغلُّوه في نقل السير دون أن يكتشف أحد ذلك، فقد أخطئوا الطريق.

في نفس الوقت كان الرجل يتحدث إليه، وكيف أنه اشترك في حرب «فيتنام» جنديًّا في الجيش الأمريكي، وكيف زار عددًا كبيرًا من بلاد آسيا وأفريقيا ...

وبرغم أن «بو عمير» كان يحاول أن يسمع كلام «فرانك» وحكاياته، التي كان يحكيها بطريقة ضاحكة؛ إلا أنه في نفس الوقت كان يفكِّر فيما سوف يفعله ... إن عليه أن يُرسل رسالة سريعة ... إلى رقم «صفر» يشرح فيها ما حدث الآن.

في نفس الوقت كان يقول لنفسه: إن الأمور هادئة في هذه اللحظة، لكن عندما تَصِل الطائرة إلى «روما» فسوف يتغير كلُّ شيء، وقد يتعرَّض لمخاطر لا حدودَ لها وهو وحده الآن!

ابتسم «بو عمير» ونظر إلى «فرانك» وهو يقول: أستأذنك، سوف أقضي حاجة سريعة.

حمل الحقيبة وانصرف ... في الطريق إلى حيث توجد كافيتريا المطار، كان يعرف أن أعين الرجال تتابعه؛ إن لم يكن أحدهم يمشي خلفه الآن وسط هذه الحركة النشطة في المطار ...

قال في نفسه، وهو يتقدم بخطوات واثقة: إنني لا أعرف أحدًا منهم سوى «فرانك». هذا الرجل العجوز؛ ولذلك فلا بد من الحذر. اتجه إلى دورة المياه، ثم اختفى فيها، وعندما أغلق الباب خلفه أخرج جهاز الإرسال، وأرسل رسالة شفرية إلى رقم «صفر». كانت الرسالة تقول: «٩ – ١٦ – ٦ – ١٢»، وقفة «١٩ – ٢٧ – ٦ – ١٩ – ٣ – ١٨»، وقفة «٦ – ٨ – ١٢ – ٦ – ٤»، وقفة «٦ – ٣٠ – ٧٠»، وقفة «٦ – ٣٠ – ٢٠ – ٧٠ – ٦ – ٢٢ – ٧٠ – ١٧»، وقفة «٢٦ – ٧٠»، وقفة «١٩ – ٢٢ – ٦ – ٣»، وقفة «٣ – ٥٠ – ١٩ – ٦»، وقفة «٦ – ٣٠ – ٢٢ – ٦ – ٦ – ٣ – ١٨»، وقفة «١٢ – ٤٠ – ٣٠»، وقفة «٦ – ٣٠ – ٧٠»، وقفة «١٨ – ١٧ – ٦ – ٢٩»، وقفة «٢٦ – ٧٠»، وقفة «٦ – ٣٠ – ٣ – ٦ – ٩ – ٢٤ – ١٨» انتهى.

وعندما انتهى منها خرج مباشرة. وكان خروجه مفاجأة جعلَته يتأكد أنه مراقب تمامًا ... كان هناك رجلان يخرجان معه في نفس اللحظة، واستطاع أن يلمح نظرةً مشتركة سريعة بينهما. عاد إلى حيث «فرانك»، الذي ابتسم عندما رآه، وقال: إن الطائرة سوف تَصِل بعد قليل.

ابتسم «بو عمير» وهو يجلس قائلًا: لا بأس، ليس لديَّ ما يجعلني أتعجل الوقت؛ فقد كنت في رحلة سريعة إلى أحد أصدقائي هنا!

قال «فرانك» في ودٍّ: هذه أول مرة تزور فيها أمريكا؟!

قال «بو عمير»: لا، ليست الأولى؛ فقد زرتُها أكثر من مرة وأُعجبت بها، وهذا ما جعلني أعود من جديد.

كان «بو عمير» يضع الحقيبة المزيفة بين ساقَيه، وكأنه يهتمُّ بها اهتمامًا كبيرًا.

سأله الرجل: هل ستبقى في «روما» كثيرًا؟

ردَّ «بو عمير»: لا أظن، ربما أقضي الليلة هناك، وأرحل في اليوم التالي.

سأل «فرانك»: إلى الجزائر؟

قال «بو عمير»: نعم.

أعلن المذيع الداخلي للمطار عن وصول الطائرة المسافرة إلى «روما». وقف «فرانك» بسرعة وهو يقول: هل هذه كل حقائبك؟

ردَّ «بو عمير»: نعم؛ ففي الرحلات لا أحب أن تكون حقائبي كثيرة!

أخذ الاثنان طريقهما إلى منقطة المسافرين ... كان «بو عمير» يرقب الحركة، فعرف أن الرجال لا يقلُّ عددهم عن خمسة ... قال في نفسه: لا بأس؛ ففي «روما» سوف تتغير الأمور ...

عندما صَعِد الاثنان إلى الطائرة كان مقعد «بو عمير» يقع في ثُلُثِها الأول، بينما كان مقعد «فرانك» عند نهاية الطائرة. أشار «بو عمير» إلى «فرانك» محيِّيًا ومتمنِّيًا له رحلة طيبة. في نفس الوقت كان يفكر: إن هذه فرصة ليستطيع فتح الحقيبة ومعرفة ما بها.

لكنه بعد لحظة فكَّر مرة أخرى: إن ذلك قد يلفت نظرهم ... ينبغي أن أترك الأمور تسير بطريقة عادية.

جلس في مقعده، وفتح كتابه. لكن لم تمضِ دقيقة حتى كان «فرانك» يجلس بجواره. قال «فرانك» مبتسمًا: حرصتُ على أن نكون معًا؛ فالرحلة طويلة تتجاوز الثماني ساعات!

ابتسم «بو عمير» وقال: لقد كنت أفكر بنفس الطريقة، وكنت سآتي إليك، ولن يرفض جارك أن نتبادل المقاعد!

غير أن «بو عمير» كان يفكر في شيء آخر ... فهو يعرف أن الرجال سوف يكونون حريصين على محاصرته طوال الرحلة وحتى الخروج من مطار «روما»، أو حتى قبل الخروج لاستعادة الحقيبة من جديد، وأن عليه أن يفكر جيدًا في طريقة تجعله حرَّ التصرف؛ فقد تحدث أيُّ مفاجآت ... فحتى الآن لم يَصِلْه ردٌّ من المقر السري، وإن كان يعرف يقينًا أن الشياطين سوف يكونون هناك.

لم تمضِ دقائق حتى أعلن المذيع الداخلي للطائرة عن ضرورة ربط الأحزمة، ثم بدأت التعليمات التي ينبغي أن يتبعها الركاب، وهذه مسائل يعرفها «بو عمير» جيدًا.

بعد قليل ... بدأت حركة الطائرة، وكان هذا يعني أن الرحلة إلى «روما» قد بدأت ... ويعني أيضًا أن المغامرة التي لم يتوقعها قد بدأت أيضًا مغامرة بطلُها «بو عمير» وحده حتى الآن.

أخذت الطائرة طريقَها إلى الفضاء، حتى استقرَّت ... نظر له «فرانك»، وقال: هل تلاعبني دومينو؟

ابتسم «بو عمير»، وقال: أُفضِّل أن أقرأ قليلًا حتى أنتهيَ من كتابي؛ فالمسافة لا تزال طويلة والوقت طويل أيضًا.

ردَّ «فرانك»: لا بأس.

ثم جذب مجلة كانت في مسند المقعد الأمامي وأخذ يقلِّب صفحاتِها. في نفس الوقت انهمك «بو عمير» في قراءة صفحات الكتاب، لكن الحقيقة أنه لم يقرأ ... كان يفكر في هذه المغامرة التي دخلها بالصدفة.

فكَّر «بو عمير»: ماذا في الحقيبة؟ ولماذا هو بالذات؟ وهل هي مسألة خطيرة؟ ... توقَّف قليلًا يبحث عن إجابة؛ لكن الأسئلة كانت لا تزال في ذهنه: إن من الضروري أن تكون في الحقيبة أوراق هامة، أو فيلم يحمل معلوماتٍ لها قيمتها، أو شريط تسجيل يحمل اعترافًا ما، أو شيء من هذا القبيل!

قلَّبَ صفحة في الكتاب بعد أن قرأ نهايتها حتى يبدوَ تصرُّفُه طبيعيًّا، وعاد لأفكاره من جديد ... تساءل: هل هي عصابة، وهل هؤلاء معروفون لجهات الأمن في إيطاليا، ويخشَون أن يقع أحدهم، أم أنهم يخشَون عصابة أخرى تحاول أن تحصل على ما في الحقيبة؟

عند هذه النقطة توقَّف «بو عمير» ... وأخذ يقلِّب الفكرة من جديد: لو أنه صراع عصابات، فإن هذه سوف تكون مغامرة رهيبة ... فسوف يقع بين عصابتَين ... لكنه عاد يفكر بطريقة أخرى: لو كان الصراع بين عصابتَين، فإنه سوف يكون في حالة تسمح له بتصرُّفٍ أحسن، وأكثر حرية؛ لأن العصابتَين سوف يدخل أفرادهما في صراع بينهما، ويكون هو حرًّا في هذه الحالة، ما لم تُحاصره عصابة «فرانك» حتى لا تفلتَ الحقيبة.

كان الوقت ينقضي، و«بو عمير» يقلِّب الموقف في ذهنه ليصل فيه إلى قرار، لكنه في النهاية قال لنفسه: إن الوصول إلى «روما» سوف يكون هو بداية التصرف.

الشرطة تقبض على «بو عمير»!

أغلق «بو عمير» الكتاب ... وكأن «فرانك» كان ينتظر الفرصة؛ فقد أسرع يقول: هل انتهيت؟ إنني أنتظر!

ابتسم «بو عمير» وهو يقول: يبدو أنك من هواة لعب الدومينو!

ضحك «فرانك» وقال: إنني فقط لستُ من هواة السفر بالطائرة، ولعب الدومينو يقتل الوقت.

وبدأت مباراة قوية في الدومينو ... كان «بو عمير» يُجيد اللعب تمامًا، حتى إن «فرانك» قال: ما هذا؟! إنني أُلاعب بطلًا!

فجأة، كان عددٌ من الرجال يحاصرون «بو عمير» و«فرانك» ... وفي لمحة سريعة كان «بو عمير» قد فَهِم أنهم زملاء «فرانك»، وإن كانوا يُخفون ذلك. ابتسم «بو عمير» وهو ينظر إليهم قائلًا: هل الأصدقاء من هواة لعب الدومينو أيضًا؟!

ضحكوا ضحكةً واحدة، وكأنهم كانوا متفقين عليها، قال أحدهم: إنني أقترح أنَّ مَن يُهزم يغادر مقعده، ومَن ينتصر يظل في اللعب.

وبدأت المباراة ... هزم «بو عمير» ... «فرانك» الذي غادر مقعده ووقف يتابع اللعب، ثم هزم أول الأصدقاء وثانيهم وثالثهم ... كانوا ينظرون إليه في دهشة وهو يلعب بذكاء شديد.

غير أنَّ «بو عمير» كان يفكر: لا بد أن أنهزم حتى يمكنَني أن أغادر المكان ... فينبغي أن أُراقبَهم بعضَ الوقت؛ فالساعات تمرُّ، وأنا مشغول بهذه الألعاب، وفعلًا ... أعطَى الرابعَ فرصةَ أن يهزمَه مستسلمًا وهو يضحك، ويقول: هذا بطل جديد!

ضحك الآخرون، ووقف «بو عمير» ... كان يشعر أن الطائرة تدور به، وأنه يكاد يسقط؛ فقد قضى وقتًا طويلًا وهو يلعب وبتركيز شديد؛ لذا ألقَى بنفسه في أقرب المقاعد الخالية.

كان يبدو عليه الإجهاد عندما جاءَه «فرانك» بسرعة، وسأله: ماذا حدث؟

ردَّ «بو عمير»: بعض الإرهاق، يبدو أنني لعبتُ كثيرًا!

قال «فرانك»: هذا صحيح، وينبغي أن تنام قليلًا!

هزَّ «بو عمير» رأسه، ثم أغمض عينَيه، فتركه «فرانك» وانضم للآخرين. فكَّر «بو عمير»: هل آخذ الحقيبة أم أتركها لهم؟ ... أخفى في نفسه ابتسامةً وهو يقول: إنها حقيبتهم في النهاية.

وبعد دقيقتين كان قد استغرق في النوم، ولم يستيقظ إلا عندما جاءه «فرانك» يهزُّه، وهو يقول مبتسمًا: لقد اقتربنا من «روما»، هل تريد أن تراها؟

فتح «بو عمير» عينَيه ونظر إلى «فرانك» لحظةً، ثم قال: يبدو أنني نمتُ جيدًا!

ابتسم «فرانك»، وقال: لكنك لم تشاهد المباريات التي وقعت ... لقد كان الصراع عنيفًا.

ابتسم «بو عمير»، وقال في نفسه: إن الصراع سيكون أكثرَ عنفًا عندما نَصِل!

قام من مقعده، واتجه إلى مجموعة الرجال ... كانوا قد أوقفوا اللعب، وبدأ كلٌّ منهم يعود إلى مقعده. أخذ «بو عمير» مكانه، وجلس «فرانك» بجواره لحظة، ثم جاء صوتُ مذيعة الطائرة تُعلن أنه قد بقيَ نصف ساعة على الوصول إلى مطار «روما».

فجأةً، شعر «بو عمير» بنشاط مفاجئ، وبدأ تفكيره يتحرك، وعقله يعمل بسرعة، فبعد نصف ساعة سوف يبدأ الصراع الحقيقي؛ إمَّا أن يكون صراعًا بينه وبين هؤلاء الرجال، أو الصراع بينهم وبين آخرين، أو بينه وبين الجميع.

مرة أخرى فكَّر «بو عمير»: هل الشياطين في الانتظار الآن في المطار؟ وأين؟

انقضَت نصف الساعة، وأعلنَت مذيعة الطائرة أن لحظة الهبوط سوف تبدأ الآن، وأن على الجميع ربْطَ الأحزمة. وبعد قليل كانت أضواء مطار «روما» تلمع من خلال نافذة الطائرة التي كان يجلس «بو عمير» بجوارها.

نظر في ساعة يده ... كانت الساعة تُشير إلى الثامنة مساءً بتوقيت «روما». قال في نفسه: الليل أحسن بكثير في هذه الحالة، لقد وصلتُ في موعد مناسب ...

فجأة ... شعر بعجلات الطائرة وهي تلمس أرض المطار، ثم تستمر في سرعتها، حتى تتوقف نهائيًّا. ولم تمضِ لحظة حتى فُتح باب الطائرة، ودخل بعض رجال الشرطة ...

وقف أحدهم ينظر في أنحاء الطائرة ... كان المنظر غريبًا؛ فقد وقف جميع ركاب الطائرة وهم ينظرون إلى رجال الشرطة في دهشة ... ألقى «بو عمير» نظرةً سريعة على «فرانك» وزملائه ... كان يبدو أنهم متحفزون تمامًا.

تقدَّم ضابط الشرطة في اتجاه «بو عمير» الذي كان يحمل حقيبته في هذه اللحظة، وقال له: هيَّا معي!

فكر «بو عمير» بسرعة ... ثم قال: ولماذا يا سيدي؟

ردَّ الضابط: سوف تعرف بعد قليل!

نظر «بو عمير» إلى «فرانك» الذي أسرع إلى الضابط، وقال: هل يمكن أن أصحبَه؟

نظر له الضابط في دهشة: ولماذا؟

ردَّ «فرانك»: نحن أصدقاء.

ابتسم «بو عمير»، وقال: هذا صحيح، وأرجو أن تسمح له بذلك.

رأى «بو عمير» نوعًا من الارتياح على وجه «فرانك»، وظهرَت ابتسامة صغيرة على وجوه الآخرين.

قال الضابط: لا بأس، هيَّا معنا.

وضع الضابط ذراعَه في ذراع «بو عمير»، وتبعهما «فرانك»، قال «بو عمير» في نفسه: إنها خطة جيدة، ويبدو أنني وقعتُ في يد العصابة فعلًا، وأن هؤلاء الرجال ليسوا من رجال الشرطة الرسميِّين، ويبدو أنهم من رجال العصابة في ثياب رجال الشرطة!

قطعوا ممرَّ الطائرة واقتربوا من الباب؛ حيث كان يقف بقية رجال الشرطة. وعند الباب تمامًا كاد «بو عمير» أن يصرخ من المفاجأة لولا أنه تمالَك نفسه؛ لقد اكتشف أن رجال الشرطة هم أنفسهم الشياطين، وأن الضابط هو «أحمد».

نزل «بو عمير» في هدوء؛ بينما كان اثنان من الشرطة يمشون في المقدمة ... أمَّا خلفه فقد كان يمشي اثنان آخران، أولهما «أحمد»؛ فحتى هذه اللحظة لم يستطع التعرُّفَ على بقية المجموعة. قطعوا أرض المطار ثم الصالة الداخلية ولم يعترضهم أحد. لكن فجأة، اقترب أحد رجال الشرطة من «فرانك»، وأمسك بذراعه قائلًا: نحتاجك بعض الوقت!

أسرع «أحمد» وتحدَّث إلى رجل الشرطة، فترك «فرانك» الذي ابتسم واستمر في طريقه بين مجموعة الشياطين. وصل الجميع إلى الباب الخارجي للمطار ... كان الليل ممتدًّا، تلمع في جنباته الأضواء ورذاذ خفيف يسقط، فتلمع الأرض ... تنفَّس «بو عمير» في عمق، وشعر بالانتعاش بسبب هواء الليل البارد، ثم نظر إلى «أحمد» الذي كان يلبس ملابس رجال شرطة «روما»: إلى أين الآن يا سيدي؟

ردَّ «أحمد» بلهجة جافة: سوف تعرف بعد قليل!

جاءت سيارتان متشابهتان تمامًا. وعندما فُتحت أبوابهما دوَّت طلقات الرصاص فجأة ... قفز الشياطين من السيارتَين ولمح «بو عمير» «فرانك» وهو يسقط على الأرض، وبسرعة فَهِم أن هذه طلقات عصابة أخرى، غير أن سيارتَي الشياطين كانت قد انطلقتَا بسرعة رهيبة، بينما كانت الطلقات لا تزال تدوِّي خلف السيارتَين، وتصطدم بهما؛ لكنها سيارات مجهزة ضد الرصاص ... كانت الشوارع خالية بعض الشيء، وكان هذا يُعطي الشياطين فرصة الإفلات ... كان الطريق بين المطار والمدينة طويلًا.

قال «أحمد» وهو يخلع نظارة سوداء: معنا هنا «باسم» و«فهد».

قال «فهد» بسرعة: أهلًا بالمغامر الأوحد!

ردَّ «بو عمير»: مغامر بالإكراه!

فضحك الشياطين، وقال «باسم» الذي كان يقود السيارة: لقد كنَّا قلقين تمامًا عليك.

فجأة جاء صوتٌ من تابلوه السيارة يقول: إن وراءَنا ثلاث سيارات في حالة مطاردة، ويبدو أننا سوف ندخل في معركة!

عرف «بو عمير» صوتَ «رشيد»، فسأل: مَن مع «رشيد»؟

ردَّ «باسم» بسرعة: «مصباح».

تحدَّث «أحمد» إلى «مصباح» و«رشيد» قائلًا: سوف نلتقي في النقطة «ع» عند التقاطع الثاني ... ينبغي تغيير الاتجاه.

قال «فهد»: إن الطريق مكشوف، وسوف تكون مهمتنا صعبة ... ينبغي أن ينضمَّ إلينا «رشيد» و«مصباح»، وإخفاء سيارتهما.

وافق الشياطين على اقتراح «فهد» فتحدَّث «أحمد» إلى «رشيد»: سوف نُقلِّل من سرعتنا ... في نفس الوقت عليكما رفع السرعة حتى تلحقَا بنا.

بدأت السيارة الأولى تُخفض من سرعتها ... فجأة لمح «فهد» ضوءَ سيارة خلفية قادمة ... أعطى إشارة ضوئية، فردَّت السيارة؛ عرف أنه «رشيد» ... أخذت السيارة تقترب ... في نفس اللحظة شاهد عدة أضواء تتحرك، فقال: يبدو أن السيارات التي تُطاردنا كثيرة.

قال «باسم»: لا بأس ... كلما ازداد عدد السيارات كلما صعبت مهمتهم.

اقتربت سيارة «رشيد» أكثر، ثم شيئًا فشيئًا أصبحت خلف سيارة «فهد» تمامًا ...

قال «أحمد»: اكشفِ الطريق حتى نرى ماذا أمامنا؟

ضغط «فهد» زرًّا في تابلوه السيارة، فانطلق ضوء قوي يكشف الطريق إلى مسافة بعيدة.

وقال «فهد»: هناك خمسة كيلومترات حتى تبدأ الغابة!

ردَّ «أحمد»: لا بأس.

ضغط «فهد» الزرَّ مرة أخرى؛ فغرق الطريق في الظلام؛ لكن كانت السيارة تتقدَّم بسرعة كبيرة، حتى إن المسافة لم تستغرق دقائق. فجأة، ظهرَت غابة كثيفة يخترقها الطريق ... دخلَت السيارة الأولى التي يقودها «فهد» وخلفها الثانية بعد حوالي كيلومتر ... انحرفت سيارة «فهد» إلى اليسار تُعطي إشارة إلى «رشيد» ليدخل في اتجاه يمين الطريق. نفذ «رشيد» ذلك ... وبعد نصف كيلومتر توقَّف.

كانت سيارة «فهد» قد فعلَت نفسَ الشيء، وغادر الشياطين السيارتَين بسرعة، متجهين إلى الطريق الرئيسي الذي يخترق منتصف الغابة.

كان الظلام حالكًا؛ لكن ضوء السيارات القادمة كان يكشف بعض المساحات، ويجعل بقية الأمكنة قليلة الظلام.

انقسم الشياطين إلى مجموعتين: مجموعة تضم «أحمد» و«بو عمير» و«باسم»، ومجموعة تضم «فهد» و«رشيد» و«مصباح». وكانت كلُّ مجموعة تختفي على جانب من الطريق.

انقضَت ربع ساعة، ثم ظهرَت سيارات العصابة ... دخلت الغابة، ثم فجأة توقَّفت. كان الشياطين يختفون خلف الأشجار القريبة؛ لكن أحدًا منهم لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا بعد الإشارة المتفق عليها ... انفتح باب السيارة ونزل أحدهم قائلًا: السيارات توقَّفت هنا؛ فقد توقَّف العادم!

كان يعني الدخان الذي يتخلَّف عن احتراق البنزين ...

ردَّ آخر، وهو يغادر السيارة: هذا حقيقي؛ ولهذا ينبغي أن نفتش المكان جيدًا.

كان الشياطين صامتين تمامًا في انتظار ما سوف يحدث ... ما داموا قد عرفوا أنهم في نفس المكان.

معركة هادئة ... في الظلام!

قال واحد من رجال العصابة: ينبغي أن نتصرف بسرعة؛ فاختفاء «فرانك» إلى الأبد سوف يُسبِّب لنا مشاكل، ولاحِظوا أن عصابة «سادة العالم» سوف تهتزُّ مكانتُها ... لو أننا لم نعثر على الحقيبة!

ردَّ آخر: هناك عصابة «اليد السوداء» أيضًا، ولولا ما حدث في المطار، لكان الصراع قائمًا حتى الآن.

سكت لحظة، ثم أضاف نفس الصوت: غيرَ أنهم لن يتركوا الحقيبة هم الآخرون، وسوف يظهرون في أية لحظة.

كان الشياطين يسمعون ما يدور ... تحدَّث «أحمد» بلغة اللمس، قال: ينبغي ألَّا نصطدمَ بهم الآن على الأقل؛ لأن ذلك سوف يضعنا في موقف صعب.

فجأةً تردَّد صوت طائر فوق شجرة، فانتبه الشياطين ... كانت الحشائش في أرض الغابة لا تسمح لصوت الأقدام أن تظهر، وكان ذلك يعني ضرورة الحذر في كل حركة. فجأةً، جرى ثعلب صغير فأثار بعض الضوضاء؛ مما جعل أحد رجال العصابة يقول بسرعة: لا بد أنهم في نفس المكان الذي خرج منه الثعلب!

وكانت هذه حقيقة ... فقد جرى بجوار قدمَي «باسم»؛ ولذلك أسرع «أحمد» بالتحرك، فتحرك الشياطين خلفه في هدوء.

في نفس اللحظة كان رجال العصابة يتجهون إلى حيث كان الشياطين يقفون، فظلت المسافة بين الاثنين قائمة؛ غير أن «أحمد» لمس «بو عمير» الذي كان خلفه مباشرة؛ فقد استطاع «أحمد» أن يشعر بوجود أحد في نفس الاتجاه ... قال في نفسه: ربما يكون رجال العصابة قد وزَّعوا أنفسهم.

أسرع يُرسل إشارة إلى «فهد» و«رشيد» و«مصباح»، الذين كانوا يقفون في الجانب الآخر ... كانت الرسالة تقول: «خذوا حِذْركم، يبدو أن رجال العصابة قد انتشروا في المنطقة.»

بعد قليلٍ جاءت رسالة من «فهد» تقول: «نقترح الخروج من هذا المكان والتقدم حتى النقطة «ل» لنلتقيَ هناك.»

همس «أحمد» لـ «بو عمير» و«باسم» قائلًا: سوف نتجه إلى النقطة «ل»، وسوف نلتقي هناك ببقية المجموعة.

وبسرعة تحرك الشياطين ... كان الظلام كثيفًا تمامًا، حتى إنه لم يكن أحد يستطيع أن يرى شيئًا، إلا أن البوصلة التي يحملها «أحمد» كانت هي المرشد الحقيقي لهم ...

فجأة صاح طائر، فتوقَّف «أحمد» ... كان هذا يعني أن أفراد العصابة سوف يحددون مكانهم؛ فالطائر لا يغادر مكانه في الليل إلا إذا شعر بالخوف. وكما فكَّر «أحمد» تمامًا؛ فقد جاء صوت يقول: لا بد أنهم في هذا الاتجاه.

وبسرعة غيَّر «أحمد» خطَّ سير مجموعته، وبدلًا من أن يتَّجه إلى النقطة «ل» حسب الاتفاق، اتجه إلى مكان آخر؛ ولذلك أسرع يُرسل إلى «فهد» رسالة أخرى يشرح له ما حدث. وفي نهاية الرسالة قال: «... ينبغي أن نضع نقطة أبعد نلتقي فيها؛ فالنقط القريبة سوف نضطرُّ إلى تغييرها كثيرًا.»

وفي النهاية اتفقَا على أن تكون نقطة اللقاء في «هـ١»، وهي أبعد نقطة يمكن أن يلتقوا عندها. ظلَّت مجموعة «أحمد» في تقدُّمِها؛ لكن فجأةً، دوَّى طلقٌ ناري في الاتجاه الآخر. توقَّف «أحمد» بسرعة، وركَّز انتباهه في اتجاه صوت الطلقة. مرة أخرى تردَّد الصوت، ثم أخذ يزداد، وكان هذا يعني أن العصابة قد استخدمت المسدسات، وأنها تمسح المكان بطلقات الرصاص. بسرعة أرسل «أحمد» رسالة إلى «فهد» ليطمئن على المجموعة، وجاءه الرد يقول: إننا محاصرون الآن؛ وإن كانوا لم يكتشفوا مكاننا بعد.

فكَّر «أحمد» بسرعة: إن هذا يعني أنهم يمكن أن يقبضوا على مجموعة «فهد»!

فهمس إلى «بو عمير» و«باسم» قائلًا: المجموعة الأخرى محاصرة، هل ننضم إليها؟

قال «بو عمير»: يجب أن نقترب منها حتى إذا حدث شيء، فإننا نكون قريبين منهم!

وردَّ «باسم»: هذا حقيقي؛ فقط لا يجب أن نبدأ بالصدام.

غيَّرت مجموعة «أحمد» اتجاهَها، وعادَت من جديد ... كانوا يتحركون في حذر، وكان أكثرهم تعبًا هو «بو عمير»؛ فقد كان يحتضن الحقيبة الهامة، ويخشى أن يصطدم بها في

إحدى الأشجار، حتى إنه فكر لحظة، ثم قال لـ «أحمد»: إن الحقيبة تحدُّ من حركتي، ولو أننا اشتبكنا معهم فسوف تمثِّل مشكلةً بالنسبة لي. أقترح أن ندفنها في مكان حتى تكون حركتي أسرع، وحتى لا نفقدَها في أي لحظة.

فكر «أحمد» قليلًا، ثم قال: لا بأس، ويمكن أن ندفنها هنا تحت هذه الشجرة، ونحن نحدد مكانها بواسطة البوصلة، فلا نفقد أثرها أبدًا.

وبسرعة اشترك الثلاثة ... «أحمد» و«بو عمير» و«باسم» في حفر حفرة تتَّسع للحقيبة، وقبل أن يضعها «بو عمير» فيها، دوَّى طلقٌ ناري أضاء الليل لبرهة سريعة. كان الطلق قد مرَّ في منطقة قريبة من مكانهم، فقال «أحمد» بسرعة: يبدو أن مجموعةً أخرى قريبةٌ منَّا!

همس «باسم»: أخشى أن يكونوا قد رصدوا مكاننا، وهذا يمكن أن يكشف مكان الحقيبة.

قال «بو عمير»: إذن ينبغي أن نغيِّر المكان.

وبسرعة تحرَّكوا من مكانهم إلى عمق الغابة ... وبعد حوالي مائتي متر توقَّفوا وبدءوا الحفر من جديد وبسرعة. كانت الحقيبة الهامة قد استقرت في باطن الأرض. في نفس الوقت كان «أحمد» قد سجَّل مكانها على شاشة البوصلة، ونقل التسجيل إلى ذاكرة البوصلة حتى لا يضيعَ ... في نفس اللحظة سجل جهاز الاستقبال رسالة من «فهد» تقول: «إنهم يتقدمون منَّا كثيرًا، ويبدو أننا سوف نضطرُّ إلى الاشتباك معهم.»

نقل «أحمد» الرسالة إلى «بو عمير» و«باسم» ... فقال «باسم» بسرعة: ينبغي الإسراع إليهم!

فكَّر «أحمد» لحظة، قبل أن يقول: نعم، ينبغي ذلك.

كان «أحمد» يفكر في طريقة أخرى؛ فقد كان يرى أن يشتبك مع المجموعة القريبة، وبذلك يبتعد الآخرون عن المنطقة التي تقف فيها المجموعة الأخرى. وليكن هذا صدًّا عنيفًا معهم؛ لكنه وافق على رأي «باسم»؛ ولذلك تحرَّك بسرعة ومعه «بو عمير» و«باسم» في اتجاه منطقة «فهد» ...

قال «بو عمير»: إنني أتحرك بحرية الآن؛ فقد كانت الحقيبة تمثِّل لي مشكلة.

في نفس الوقت أرسل «أحمد» رسالة إلى «فهد» يقول فيها: «إنه في الطريق هو و«بو عمير» و«باسم».» كانت حركتهم سريعة جدًّا؛ ولذلك لم يستطيعوا كشفَ كلِّ الاتجاهات؛ فقد كان هدفهم الوصول بسرعة إلى «فهد» ومجموعته.

لكن ما حدث كان مفاجأة حقيقية لم يتوقعوها ... ففجأة اصطدم «أحمد» برجلٍ، حتى إن الرجل صاح؛ فقد كانت الصدمة مفاجئة له هو الآخر، إلا أن «أحمد» تدارك الموقف،

فأسرع وضربَه ضربةً جعلَت الرجل يتراجع بسرعة ويصطدم بساق شجرة، ثم يسقط بلا حَراك، إلا أن صرخة الرجل الأولى كانت كافية ليظهر الباقون ... ولأن الليل كان كثيفًا فإن استخدام المسدسات لم يكن ذا فائدة. كذلك كان من الضروري أن يبحث أيُّ واحد عن الآخر حتى يشتبكَ معه.

كانت هذه أفكار «أحمد»، أمَّا أفكار العصابة فقد اختلفت تمامًا؛ فحين صاح زميلهم وجَّهوا مسدساتهم في اتجاه مصدر الصوت، وبدأت الطلقات ... إلا أن الشياطين كانوا حذرين تمامًا ... فقد اختفى كلٌّ منهم خلف ساق شجرة.

في نفس الوقت كان ضوء طلقات الرصاص يحدِّد مكان أفراد العصابة ... اصطدمَت طلقةٌ بالساق التي يختفي خلفها «أحمد»، فقال في نفسه: يبدو أنهم حدَّدوا مكاننا بالضبط!

انبطح «أحمد» على الأرض وزحف مبتعدًا عن ساق الشجرة. في نفس الوقت كانت الطلقات لا تزال تدوِّي ... أخذ يبتعد حتى أصبح في مأمن.

حدَّد اتجاه مصدر الضوء من خلال فوهة المسدس، ثم زحف في اتجاه أحد أفراد العصابة، وبهدوء شديد أخذ يقترب في نفس اللحظة التي كان الآخر لا زال مستمرًّا في إطلاق الرصاص. وعندما أصبح قريبًا منه بما يكفي، مدَّ يده ولمس ذراع الرجل، فقال: إنهم هناك في نفس الاتجاه الذي نُطلق عليه النار، استمر في إطلاق الرصاص.

ابتسم «أحمد» في الظلام؛ فقد فَهِم أن الرجل لم يعرفه ... وقبل أن يُكمل الرجل كلمة أخرى كانت يد «أحمد» قد ارتفعَت لتضربَه بقوة، جعلَته يصطدم بالأرض. في نفس اللحظة كان المسدس قد أصبح في يد «أحمد» ... فجأة، سمع دقات يعرفها، وفَهِم منها أن «بو عمير» و«باسم» قد تحرَّكَا معه في نفس الوقت، وأنهم قد قضَوا على اثنين. ابتسم مرة أخرى، وقال في نفسه: إنهم شياطين حقًّا.

جاء صوت يقول: «بوب» ... لماذا توقَّفْتَ عن إطلاق الرصاص؟

ابتسم «أحمد»، وقال في نفسه: لا بد أن أحدَ الذين انتهَوا اسمه «بوب» ... زحف في اتجاه الصوت الذي قال مرة أخرى: لماذا توقفتم «جيم»، «براند»؟ لماذا توقفتما أنتما الآخران؟

غير أن أحدًا لم يردَّ عليه، فقال بصوت مملوء بالخوف: لماذا لا تردون «بوب»، «جيم»، «براند»؟ ماذا حدث؟

أخذ صوته يرتفع أكثر فأكثر، لكنه فجأةً صمت إلى الأبد؛ فقد كان «أحمد» هو الذي ردَّ عليه بضربة قوية أفقدَته وعْيَه تمامًا. انتظر «أحمد» قليلًا، وعندما لم يصدر صوت آخر عرف أنهم كانوا أربعة فقط.

همس «أحمد»: «بو عمير» و«باسم» ... أين أنتما؟

ردَّ «بو عمير»: إنني هنا، ويبدو أنه لم يَعُد أحد هناك!

ثم جاء صوت «باسم» يقول: لقد انتهينا من نصف المجموعة. علينا أن نُسرعَ إلى «فهد»!

ولم يكَدْ ينتهي من كلامه حتى دوَّت طلقات الرصاص في الجانب الآخر بعد صمتها الطويل.

فقال «بو عمير»: يبدو أن المعركة الأخرى بدأت!

أسرعَت المجموعة في اتجاه «فهد»، إلا أن الرسالة التي وصلَت جعلَت الشياطين يتوقفون.

كانت رسالة من «فهد» تقول: «نقطة اللقاء «هـ – ١»، لقد تركناهم يبحثون دون أن نشتبك معهم؛ فقد خدمَتنا الظروف في خدعة جيدة.»

وبسرعة اتجه «أحمد» اتجاهًا آخر، ومعه «بو عمير» و«باسم» حيث نقطة اللقاء الأخيرة «هـ – ١» ... كان كلُّ شيء هادئًا في هذه اللحظة، إلا من صوت طلقات الرصاص هناك. وكانت المعركة الهادئة التي حققها الشياطين قد أعطَتهم نوعًا من الانتعاش، بجوار انتعاش الطقس داخل الغابة.

قال «بو عمير»: هل نأخذ الحقيبة معنا أم نتركها؟

ردَّ «أحمد»: إن الحقيبة لا تهمُّنا الآن؛ فهي في مكان لا يستطيع أحد أن يصل إليه.

صمت لحظة، ثم قال: إن المهم الآن أن ننتهيَ من صراعاتنا، أمَّا الحقيبة فسوف نعود إليها فيما بعد.

تقدَّموا بخطوات سريعة ... لكن ما حدث جعلهم يتجمَّدون في أماكنهم من الدهشة، ولم يكونوا يتوقعون ذلك أبدًا.

معركة في الظلام!

لقد التقط جهازُ الإرسال مع «أحمد» رسالةً شفرية غريبة، وبسرعة أرسل رسالة إلى المقر السري، ولم تمرَّ دقائق حتى كان جهازُ حلِّ الشفرة الإلكتروني في المقر السري قد ترجَم الرسالة. وجاء رد رقم «صفر» من المقر السري يقول:

«تقول الرسالة الشفرية: إن عصابة «اليد السوداء» قد انتشرت حول الغابة، وإن التعليمات لديها أن تحصل على الحقيبة الهامة.»

عندما قرأ «أحمد» الرسالة استغرق في التفكير لحظة قبل أن ينقلها إلى «بو عمير» و«باسم» ... أخيرًا همس يقول: هذا يعني أننا نقف ضد عصابتَين معًا ... هما عصابة «سادة العالم»، وعصابة «اليد السوداء».

ردَّ «بو عمير»: إن ما حدث في المطار يؤكد ذلك؛ فقد تخلَّصت عصابة «اليد السوداء» من «فرانك» وهو تابع لعصابة «سادة العالم».

ردَّ «باسم»: هذا يعني أننا ندخل معركة مزدوجة مع العصابتَين!

بسرعة أرسل «أحمد» رسالة إلى «فهد» يشرح له فيها الموقف، وفي نهاية الرسالة قال: ينبغي أن نلتقيَ بسرعة؛ فقد تغيَّر الموقف، ولا بد أن تتغير خطتُنا.

مرت دقيقة، ثم جاء رد «فهد»: إذن، فليكن لقاؤنا قبل النقطة «هـ – ١» بشرطتين.

وما إن وصلَت رسالة «فهد» حتى أسرع «أحمد» و«بو عمير» و«باسم» إلى نقطة اللقاء الجديدة. وكان على مجموعة «أحمد» أن تقطع الطريق الذي يمرُّ من وسط الغابة، وهو طريق مكشوف، ويمكن أن يكون مُراقَبًا؛ ولذلك فعندما وصلَت المجموعة إليه توقَّف «أحمد» لحظة ... كان الهدوء الذي يلفُّ الغابةَ كلَّها يُنذر بالخطر، فكيف تكون عصابة «سادة العالم» داخل الغابة، وعصابة «اليد السوداء» خارجها، ولا يكون هناك أي صوت؟!

من المؤكد أن كل عصابة ترسم خطتها، وأنها تنتظر العصابة الأخرى، ولو أنهم قطعوا الطريق المكشوف ووقعَت أعين إحدى العصابتَين عليهم، فإن ذلك سوف يُعرِّضهم لموقف صعب؛ فقد تظن عصابة «سادة العالم» أنهم تابعون لعصابة «اليد السوداء»، وقد تظن الأخرى أنهم تابعون لـ «سادة العالم»، وقد تشترك العصابتان في اصطيادهم؛ لذلك لم يغامر «أحمد» بالمرور، لكنه فكَّر قليلًا، ثم عرض اقتراحًا: هل يمرون تحت ستار من الدخان بواسطة كرات الدخان؟

لم يردَّ «بو عمير» أو «باسم» ... كانت المسألة تحتاج إلى تفكير، فمن المحتمل أن يرى أحدٌ سحابةَ الدخان، ويكون ذلك دليلًا يكشف وجودَهم مرة أخرى!

مرَّت لحظة ... ثم قال «باسم»: أقترح أن أزحف إلى الجانب الآخر ... في نفس الوقت الذي تراقبون فيه الطريق ... إن الظلام كثيف، وهذا يعطيني فرصة المرور.

مرة أخرى، لم يردَّ أحد ... كانت المسألة صعبة؛ فإذا اكتشف أحدٌ وجودَهم، فإن ذلك سوف يفتح عليهم صراعًا بلا نهاية. غير أن «أحمد» قال: سوف نحقِّق الفكرتَين معًا ... سوف نُطلق كرات الدخان، ونقوم بالزحف في نفس الوقت.

فجأة قال «بو عمير»: إننا نستطيع أن نقوم بعملية تمويه لا تلفت النظر ... وكأننا نأخذ بعض أغصان الأشجار ونمرُّ بها بين الأشجار؛ وبذلك لا نلفت نظرَ أحد.

وكانت الفكرة جيدة ... وبسرعة أخذ الشياطين ينفِّذونها ... أخرج كلٌّ منهم خنجرَه وبدأ يقطع في هدوء أحدَ أغصان الأشجار، ثم أمسك به وزحف يقطع الطريق. كان الثلاثة يبدون وكأنهم أشجار تُحرِّكها الرياح، وفي أقل من ثلاث دقائق كانوا قد انتقلوا إلى الجانب الآخر من الغابة، وبسرعة تحرَّكوا، إلا أن حركتَهم لم تستمرَّ؛ فقد جاءت رسالة من «فهد» تقول: «إن عصابة «سادة العالم» تكاد تسدُّ الطريق أمامهم، وهناك تحركات كثيرة من الجانب الذي يقفون فيه ...»

نقل «أحمد» الرسالة إلى «بو عمير» و«باسم» الذي قال: إنَّ ذلك يحتاج إلى القيام بعملية أخرى حتى تستطيع مجموعة «فهد» الخروجَ من منطقتهم.

تساءل «أحمد»: إذن ماذا تقترح أن نفعل؟

ردَّ «باسم»: أن نهاجم أحد جوانب العصابة، فنلفت نظرهم بعيدًا حتى تمرَّ المجموعة.

قال «بو عمير»: إنها فكرة طيبة، وإن كانت جريئة تمامًا؛ فقد تكون هي بداية الصدام ونكشف أنفسنا.

فكر «أحمد» قليلًا، ثم قال: ينبغي أن نعرف وضْعَ العصابة تمامًا حتى نستطيعَ أن ننفذ فكرةَ «باسم»، وهي فكرة جيدة.

سكت «أحمد» قليلًا ثم قال: سوف أُرسل رسالة شفرية إلى «فهد» إذا كان يستطيع أن يحدِّد لنا موقع العصابة.

وبسرعة أرسل رسالة شفرية ... كانت الرسالة تطلب تحديد مواقع أفراد العصابة بطريقة جهاز الكشف بالأشعة ... مرت ربع ساعة، ثم جاء ردُّ «فهد»: إن العصابة تُحيط بنا تمامًا، والخروج بالنسبة لنا صعبٌ للغاية!

فكَّر «أحمد»: إن العصابة تقف إذن على شكل دائرة، وهذا يعني أنها إذا أطلقت النار فسوف تُصيب بعضها البعض؛ لأن بعض أفرادها يواجه البعض الآخر، وهذا ترتيب يُفيد موقفنا تمامًا.

عرَض فكرتَه على «بو عمير» و«باسم» ... فقال «بو عمير»: إنَّ ذلك سوف يجعل «فهد» و«رشيد» و«مصباح» في مرمى النيران، التي سوف تخرج من جميع الجهات، ولا أظن أن العصابة لا تُدرك اتجاهاتها، فكيف يمكن أن تُطلق النار على نفسها؟!

أضاف «باسم»: ولماذا لا تقول إن أعضاء العصابتَين يقفون أمام بعضهم؟ وفي هذه الحالة يمكن الإيقاع بينهم، وتدور معركة لا نكون نحن طرفًا فيها.

مرت دقائق قبل أن يقول «أحمد»: إنها إذن مسألة شائكة، ومن الخطر أن نبدأ في التعامل معها.

فجأة قال «أحمد»: لماذا لا نستخدم الغازات المخدرة، إننا نستطيع أن نفتح بها ممرًّا يمرُّ فيه «فهد» و«رشيد» و«مصباح»؛ فعن طريق تحديد أماكنهم يمكن أن تفعل الغازات المخدرة مفعولها.

بسرعة أرسل إلى «فهد» رسالة بهذا المعنى، فجاءه الردُّ بسرعة: إنها فكرة طيبة سوف نُنفذها ... فقط نحتاج إلى أن تكونوا يقظين تمامًا، فتغطوا انسحابنا إذا حدث شيء.

فجأة جاء الحلُّ ... بدأت رياح خفيفة تهبُّ، فقال باسم: هذه فرصتنا إذا اشتدت الرياح، فإن الحركة سوف تكون هادئة وسهلة؛ لأن حركة الأغصان سوف تكون كثيرة، ويمكن أن ننفذ نفس الطريقة التي قطعنا بها الطريق!

أخذت الرياح تشتدُّ أكثر فأكثر، وبدأ صوتُ حفيفِ الأغصان وكأنه فرقة موسيقية تقدِّم عملًا عنيفًا، تمايلَت الأشجار، فأرسل «أحمد» رسالة إلى «فهد» يشرح له فيها طريقةَ الخروج من هذه المصيدة.

فجأة بَرَقت السماء، وتردَّد صوت الرعد، وكأن كارثة سوف تهبط، فقال «بو عمير»: إن ما يحدث الآن في مصلحتنا تمامًا!

ولم تمضِ دقائق، حتى كانت السماء قد فتحَت أبوابها، وانهمر المطر بغزارة غير عادية …

قال «أحمد»: ينبغي أن ننسحب الآن إلى أطراف الغابة، وأن نُعيدَ تحديد النقطة التي نلتقي فيها!

أرسل رسالة إلى «فهد» يحدِّد له النقطة الجديدة، ويقول: إن هذه العاصفة فرصة للخروج من الغابة نهائيًّا، والاتجاه إلى حيث تقف السيارتان. وبعد قليلٍ كان «فهد» يردُّ: نعم إنها فرصة واللقاء هناك.

أسرعَت مجموعة «أحمد» في اتجاه السيارتَين. وقال «بو عمير»: هل نستطيع الحركة في هذا الجو العاصف؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: نعم … فالسيارة مجهَّزة لأي طقس.

كانت حركتهم صعبة؛ فقد كانت مياه الأمطار تنزل عليهم من فوق الأشجار، وكأنها خراطيم المياه. في نفس الوقت كانت قوة الرياح تدفعهم إلى الأمام، حتى إنهم لم يستطيعوا التحكُّمَ في خطواتهم؛ ولذلك فلم يكونوا يفعلون شيئًا سوى محاولة عدم الاصطدام بالأشجار.

انقضَت نصف ساعة، ولمعَت فجأةً أضواءُ البرق، فرأوا نهاية الطريق … همس «باسم»: لقد وصلنا.

لكن الضوء التالي الذي حدث جعلهم يتجمدون في أماكنهم … لقد تردَّدت عدة طلقات في نفس المكان الذي تقف فيه السيارتان. نظر «أحمد» بسرعة إلى «بو عمير» و«باسم»، وقال: يبدو أن أحدًا قد احتلَّ السيارتَين.

فكَّر بسرعة، ثم أرسل رسالة سريعة إلى «فهد» يشرح له فيها ما حدث، وبسرعة جاءه ردُّ «فهد»: سوف ندور حول المكان، وأُخبركم بما نرى.

توقَّفت مجموعة «أحمد» في انتظار رسالة «فهد» … في نفس اللحظة كان «أحمد» يفكر: ماذا هناك؟ وكيف استطاع أحدهم أن يعثر على السيارتَين المختلفتَين في منطقة لا يصل إليها أحد؟

فجأةً، جاءَت رسالة «فهد»: «عليكم التقدم ببطءٍ … ينبغي أن نبدأ اشتباكًا … ساعة الاشتباك «٢».»

تحرَّكت المجموعة في هدوء … أخرج «أحمد» جهاز الكشف بالأشعة … ضغط زرًّا في الجهاز، فانطلقَت أشعة غير مرئية في اتجاه السيارتَين، ثم ارتدَّت بسرعة وسجَّل الجهاز المسافة. قرأها «أحمد»، وقال: إنهم يبعدون عنَّا مسافة ٥٠٠ متر فقط.

قال «بو عمير»: إذن من الضروري أن نستمرَّ، وأن نبدأ معهم اشتباكًا بتوقيت «فهد».

تحرَّكت المجموعة ... وكانت حركتُها تبعًا للبوصلة التي يحملها «أحمد»، والتي تُحدِّد لهم الاتجاه وسط هذا الظلام ... لكن فجأةً قال «باسم»: أنا عندي اقتراح!

بدأ «باسم» في شرح اقتراحه. وما إن انتهى منه حتى قال «أحمد»: إنه اقتراح جيد.

سكت لحظة ... ثم أضاف: هل يمكن أن أقوم بتنفيذه؟

ابتسم «باسم» وردَّ: لا بأس، المهم أن ننفذه!

أرسل «أحمد» رسالة إلى «فهد» يشرح له الخطوة القادمة، وهي تحتاج إلى أن يتقدموا إلى مكان السيارتين، وينتظروا حتى تبدأ إشارة «أحمد».

وجار ردُّ «فهد»: إنها فكرة جيدة، ونحن في انتظار الإشارة!

بسرعة كان «أحمد» يتسلَّق إحدى الأشجار، ورغم أن الرياح كانت قوية إلا أن ذلك ساعدَه على أن يستطيع الانتقال من فرع إلى فرع؛ فقد كانت الرياح بحركتها تجعل الأفرع قريبة من بعضها ... قفز من فرع إلى فرع، ومن شجرة إلى شجرة ...

فجأةً، لمع البرق، وشاهد «أحمد» في نظرة خاطفة أربعةً من الرجال يقفون بجوار السيارتين، وقد أمسك كلٌّ منهم مسدسَه. ابتسم ابتسامة عريضة، وقال في نفسه: إنها لحظة جيدة، فسوف أنقضُّ عليكم من فوق الأشجار، وكأنني صاعقةٌ لا تعرفون من أين جاءت؟!

أرسل «أحمد» رسالةً إلى فهد، وإلى «بو عمير» يحدِّد فيها لحظة الاشتباك ... انتظر لحظة ... كان يجلس فوق شجرة فوق رءوسهم تمامًا. وكان الأربعة يقفون متجاورين وكأنهم يخشَون البرد؛ مع أنهم كانوا يلبسون ملابس ثقيلة ... مرَّت لحظة، ثم أرسل الإشارة ... وفي لمح البصر ... كان قد قفز فوق الأربعة، وأثناء هبوطه ضرب اثنين منهما. في نفس اللحظة كانت يداه قد تحرَّكتَا كالصاروخ في اتجاه الآخرين؛ ولأن الحركة كانت مفاجئة لهم؛ فقد سقطوا جميعًا على الأرض، وقبل أن يُفيقوا من المفاجأة، كان بقية الشياطين قد اشتبكوا معهم ... ضرب «فهد» أقربَهم إليه ضربةً قوية أطارَت مسدسه من يده ... في نفس الوقت الذي اشتبك فيه «باسم» و«بو عمير» و«رشيد» مع ثلاثة منهم، وفي أقل من دقيقتين، كان الرجال الأربعة بلا حَراك.

وبسرعة قفز الشياطين في السيارتين، لكن لم تكن هذه هي الخطوة الأولى في الخروج من الغابة؛ فقد كانت أمامهم مفاجأة أخرى، ولم تكن الخطوة إلا البداية في معاركَ جديدةٍ.

عندما تحوَّل ... الليل إلى نهار!

كانت السيارة الأولى تضمُّ «أحمد» و«فهد» و«مصباح»، والثانية تضم «رشيد» و«بو عمير» و«باسم» ... أدار «فهد» موتور سيارته، ثم بدأ التحرك، لكن سيارة «رشيد» لم تتحرك من مكانها. توقَّف «فهد» وانتظر، لكن السيارة الأخرى كانت لا تزال في مكانها.

قال «مصباح»: يبدو أنَّ سيارة المجموعة الثانية قد أُصيبَت بعطل ما.

بسرعة قفز «أحمد» من السيارة وأسرع يجري إلى السيارة الأخرى. كان «رشيد» لا يزال يحاول ... سأل «أحمد»: ماذا هناك؟

ردَّ «رشيد»: لا أدري!

أسرع «أحمد» إلى موتور السيارة وكشف غطاءَها ... مدَّ يده، وثبَّت أحدَ الأسلاك، ثم قال لـ «رشيد»: أَدِرِ الموتور.

أدار «رشيد» الموتور بسرعة؛ فقد فكَّر في شيء ما ... نزل إلى حيث يقف «أحمد»، ونزل معه «بو عمير» و«باسم».

قال «أحمد»: هذه خدعة مقصودة؛ فموتور السيارة لا يُصدِر هذا الصوتَ المرتفع ...

سكت لحظة ثم أضاف: ينبغي أن نكون حذرين؛ فمن الضروري أن يكون أحدُهم قريبًا منَّا الآن.

كان الشياطين فعلًا يدورون بأعينهم خشيةَ أن يحدث شيء، لكن الظلام كان كثيفًا بدرجة كبيرة. في نفس الوقت كانت الأمطار لا تزال تسقط بغزارة ... كانوا يفكِّرون: ما الذي يجعل السيارة تُصدر هذا الصوت؟ وهل يتركونها؟

لكن أحدًا منهم لم يطرح الاقتراح الأخير؛ فسيارات الشياطين مجهزة بطريقة خاصة.

قطع «بو عمير» الصمتَ قائلًا: أعتقد أنَّنا نستطيع التغلب على مشكلة الصوت هذه؛ فهي لا تعدو أن يكون هناك ما يعوق خروج العادم من شكمان السيارة!

وبسرعة ذهب إلى مؤخرة السيارة — وكما توقَّع تمامًا — كانت هناك قطعة خشبية رقيقة موضوعة بطريقة معينة، ويمكن أن تتسبَّب في إصدار هذا الصوت ... نزع القطعة الخشبية، ثم همس: أَدِرِ السيارة.

أسرع «رشيد» بإدارة الموتور، فلم يصدر الصوت، لكن ما حدث كان كافيًا ليُعطيَ إشارة لأحد ما تمامًا كما توقَّع «أحمد»؛ ولذلك ما إن تحرَّك «أحمد» إلى سيارته التي تقف بعيدة بعضَ الشيء حتى انقضَّ عليه أحدُهم وكمَّم فمه. لم يكن يظهر شيء في الليل، ولم يكن «أحمد» يستطيع أن يناديَ أحدًا؛ فقد كانت يدُ المجهول قوية بدرجة كادت تخنقه، إلا أنه ضغط زرًّا في جهاز الإرسال في جيبه، فأعطى إشارة حمراء في السيارة الأمامية، وكانت هذه الإشارة تعني أنَّ أحد الشياطين في خطرٍ.

لم يشعر «أحمد» بشيء بعد أن ضغط الزر؛ فقد هوى شيءٌ ثقيل فوق رأسه، جعل الدنيا تدور به، ثم سقط على الأرض تحت المطر. لكن «فهد» و«مصباح» كانَا قد نزلَا بسرعة، واتجهَا إلى حيث سقط «أحمد». كان لا يزال غائبًا عن وَعْيِه ... نظرَا حولهما، لكن لم يكن يوجد شيء هناك. أعطى «فهد» إشارة سريعة للسيارة الأخرى التي كانت قد اقتربَت، وبسرعة نزل الشياطين وانضموا إلى «فهد» و«مصباح». وقف الجميع ينظرون حولهم ... كان السؤال: ما الذي حدث؟ وكيف سقط «أحمد»؟ وهل سقط وحدَه أم أن هناك مَن هاجمه في غفلة؟ ... غير أنه لم تكن هناك إجابة.

همس «بو عمير»: لا أظن أن «أحمد» قد سقط وحده ... من الضروري أن يكون هنا أحد.

أكَّد «رشيد» ما قاله «بو عمير» عندما أضاف: إن حكاية صوت السيارة تعني أن هناك أحدًا في هذا الظلام الكثيف.

فجأة ... تحوَّل المكان إلى غابة من الرجال، وكأنهم قد خرجوا من تحت الأرض، رأى الشياطين ذلك فجأة ثم اختفَت ملامح الأشياء.

كان كلٌّ منهم يحمل بطارية صغيرة ... أضاءوا البطاريات فجأةً في أعين الشياطين، فلم يروهم سوى لحظة سريعة ... رأوا دائرة من المصابيح الصغيرة وكأنها تلتفُّ حولهم.

في نفس اللحظة، وبسرعة كان «فهد» قد فكَّر وتصرَّف ... ألقى عددًا من كرات الدخان، وعندما أخذ الشياطين يستعيدون أنفسهم ويستطيعون رؤية الأشياء، كان الدخان قد انتشر بسرعة حتى غطَّاهم تمامًا. في نفس الوقت كان الرجال قد أخذوا يسعلون بشدة، وكانت هذه فرصة للشياطين؛ فقد أسرعوا يكيلون لهم الضربات حتى قضَوا عليهم.

جرى «رشيد» في اتجاه «أحمد» ... كان قد بدأ يُفيق بتأثير المطر، وعندما فتح عينَيه رأى «رشيد»، فسأل: ماذا حدث؟

ردَّ «رشيد» بسرعة: هيَّا بنا الآن ... يبدو أننا قد وقعنا في كمين.

قفز «أحمد» بسرعة، واتجهت كلٌّ مجموعة إلى سيارتها، ثم انطلقوا ... كانت السيارتان مطفأتَين؛ غير أنهما كانتَا تتحركان تبعًا لرادار مثبَّت في كلٍّ منهما. فجأة شاهد «أحمد» حركة على شاشة الرادار، فقال: هناك حركة أمامنا.

ضغط زرًّا في تابلوه السيارة، فانطلق شعاع، ثم ظهر رقم، قال «أحمد»: إنهم يبعدون عنَّا بمسافة كيلومتر فقط!

قال «فهد»: ليس أمامنا إلا أن نَصِل إليهم؛ فنحن لا نستطيع أن نمشيَ بين الأشجار، ولا بد لنا من الالتزام بالطريق الرئيسي.

ردَّ «مصباح»: لا بأس.

ظل «فهد» متقدمًا في نفس الوقت الذي أرسل فيه رسالةً إلى «رشيد» يُخبره بما سجَّلَته شاشة الرادار. كان المطر لا يزال ينهمر بشدة، فقال «أحمد»: إنَّ المطر يُساعدنا تمامًا؛ فلولاه لكانت المعارك قد امتدَّت بلا حدود.

فجأةً سجل جهاز الاستقبال في السيارة رسالة شفرية ... أخذ «أحمد» يتابعها ... كانت غريبة الرموز ... ظل يتابعها حتى انتهَت. وكانت رسالة طويلة إلى حدٍّ ما، مما جعل «أحمد» يُسرع في إرسالها إلى المقر السري، حيث يوجد جهازُ حلِّ الشفرة الإلكتروني ... مضَت دقائق، ثم جاء الرد يقول: سوف تتأخر ترجمة الرسالة؛ فهي من نوع غريب تمامًا ... ما الموقف عندكم؟

ردَّ «أحمد» برسالة: «من ش ١٣ إلى رقم «صفر» ... الحركة عادية؛ وإن كانت التوقعات تُشير إلى معارك عنيفة.»

ردَّ رقم «صفر»: «من «م. س» إلى «ش ١٣»: الحقيبة التي معكم تحمل أسرارًا هامة عن سلاح كيماوي جديد ... ما هو مصير الحقيبة؟»

ردَّ «أحمد»: «من «ش ١٣» إلى «م. س»: كل شيء على ما يُرام، ولا يستطيع الأسد الوصول إلى الفريسة.»

جاءت رسالة: «من «م. س» إلى «ش. ١٣» ... أتمنى لكم التوفيق!»

قال «أحمد» وهو ينظر إلى «فهد»: يبدو أن العصابات قد غيَّرت شفرتها!

ردَّ «مصباح»: لا بأس؛ فجهاز حل الشفرة في المقر السري لن يعجز عن حلِّها مهما كانت معقَّدة.

فجأة لمع ضوءٌ قويٌّ في مواجهة سيارة الشياطين جعلهم يُغمضون أعينهم، في نفس اللحظة التي قال فيها «أحمد»: المرآة العاكسة.

ضغط «فهد» جهازًا في أرضية السيارة، فارتدَّ الضوء في الحال؛ فقد خرجت مرآة عاكسة من باطن السيارة إلى مقدمتها، فعكست الضوء إلى مصدره. ورأى الشياطين جهازًا ضخمًا هو الذي يُرسل هذه الأشعة الضوئية. في نفس الوقت شاهدوا عددًا من الرجال وعددًا من السيارات يسدون الطريق. ضغط «فهد» قدمَ البنزين؛ فارتفعت سرعةُ السيارة تمامًا. ولم يكن أمام الرجال إلا أن يُفسحوا الطريق، خصوصًا وأنهم لا يستطيعون رؤيةَ السيارة جيدًا بسبب انعكاس الضوء عليهم، غير أن الجهاز الضخم الذي يُرسل الضوء كان يسدُّ الطريق. بسرعةٍ فكر «أحمد»: يجب تفجير هذا الجهاز ... صحيح أن تفجيره سوف يُصدر صوتًا هائلًا؛ لكن هذه هي الطريقة الوحيدة.

وبسرعة ضغط قدمًا في أسفل السيارة، فانطلق تيار كهربائي واصطدم بالجهاز، وما هي إلا لحظة حتى دوَّى انفجار رهيب هزَّ الغابة، وكان للانفجار ضوءٌ هائل كشَف كلَّ شيء، وكأن الغابة تسبح في ضوء النهار. ولم يستغرق ذلك وقتًا؛ ففي أقل من عشر دقائق كان الجهاز الضخم قد تلاشى وتحوَّل إلى كومة صغيرة من الرماد ... كاد المطر أن يُخفيَها تمامًا. وكان «فهد» قد تجاوز المكان بسيارته وخلفه «رشيد» بالسيارة الأخرى، وقبل أن يُفيقَ الرجال من دهشتهم لما حدث، كان الظلام قد ابتلع سيارتَي الشياطين.

قال «فهد»: ماذا حدث؟

ابتسم «أحمد»، وقال: لعل ضخامة الجهاز قد أفزعَتك!

ردَّ «فهد»: نعم، إنه كان ضخمًا بطريقة مخيفة، فكيف تحوَّل إلى رماد بهذه السرعة؟!

قال «أحمد»: هذه كلها مواد صناعية من البلاستيك والقماش وغيرها، وهي عندما تتعرض لتيار كهربائي تتلاشى تمامًا، كما رأيت.

علق «مصباح»: صدِّقني، إنها مسألة أغرب من الخيال!

في نفس اللحظة، جاءت رسالة من «رشيد» يهنِّئ فيها «أحمد» على هذه المغامرة السريعة الناجحة. لكن رسالة «رشيد» لم تكن سوى نقطة في نهاية مغامرة واحدة؛ فقد جاءت رسالة شفرية استقبلها «أحمد» ... كانت:

من م. س إلى ش ١٣

«حدث اتفاق بين عصابة سادة العالم وعصابة «اليد السوداء» لإنقاذ المعلومات السرية ... هناك هجوم مع أول ضوء في الفجر ... عليكم أن تنتهوا قبل هذا الموعد، نحن في انتظارِ أيِّ إشارة منكم!»

ترجم «أحمد» الرسالة ونقلها إلى «فهد» و«مصباح»، ثم أرسلها إلى «رشيد»، فعلَّق «مصباح» قائلًا: هي إذن معركة النهاية!

وقال «فهد»: لا بأس؛ فقبل ظهور ضوء الفجر سوف نكون قد ابتعدنا عن هنا!

ابتسم «أحمد» ونظر إليه قائلًا: هل تتوقع ذلك؟

ردَّ «فهد»: بلا شك، باقٍ على نهاية الطريق عشرون كيلومترًا فقط، ونحن نمشي بسرعة خمسة كيلومترات؛ أيْ أمامنا أربع ساعات حتى طلوع الفجر، وإذا كانت الساعة الآن منتصف الليل، فهذا يعني أننا سوف نكون خارج الغابة عند بداية الهجوم.

مرة أخرى ابتسم «أحمد» وقال: هذا إذا كان الطريق مفروشًا بالورد.

ثم ضحك قائلًا: إنه مفروش بالمعارك كما ترى!

وكانت هذه الجملة بداية معركة جديدة، جعلَت «فهد» يضحك معلِّقًا: إن الورد بالنسبة لنا هو معاركنا!

فضحك «أحمد» و«مصباح»، بينما كانت طلقات الرصاص تصطدم بجوانب السيارة، فترتد منها دون أن تُصيبَها؛ لأنها ضد الرصاص، لكن ذلك لم يكن يعني أن المغامرة انتهت.

المعركة الأخيرة بالكلام!

نظر «فهد» إلى «أحمد»، وسأل: هل نستمر؟

فكر «أحمد» بسرعة، ثم قال: من الخطورة أن نستمرَّ، إنَّ هذا يعني دَفْعهم للتفكير في طريقة أخرى أكثر عنفًا، ربما تكون تفجير السيارتين.

سكت لحظة، ثم أضاف: ينبغي أن نتوقَّف قليلًا؛ فإن ذلك قد يُعطيهم بعضَ الأمل في اصطيادنا.

أرسل رسالة إلى «رشيد»، بينما كان «فهد» يوقف السيارة في منتصف الطريق. كان «أحمد» يفكر بسرعة: ما الذي يمكن عمله الآن؟ وإذا كانت عصابة «سادة العالم» و«عصابة اليد السوداء» قد اتفقتَا معًا، فإنَّ هذا يعني أننا لن نستطيع بأيِّ حال أن نصطدمَ بهما، ولا أن ندخل في معركة معهما.

نظر «أحمد» إلى «فهد»، وقال: ماذا تقترح؟

فكر «فهد» قليلًا، غير أن «مصباح» كان أسرعَ منه في الرد: لماذا لا ننتظر حتى الصباح؟

سكت لحظة، ثم أكمل: إننا في النهار سوف نكون أكثرَ قدرة على الحركة؛ فنحن الآن نتصرف بنصف قدراتنا.

رد «أحمد»: لكنها في نفس الوقت أقوى من قدراتهم الآن؛ فما لدينا من أجهزة إلكترونية أو أجهزة حديثة فهم لا يملكون مثلها، وربما لا يعرفونها، وفي النهاية يمكن أن تقترب القُوَى.

قال «فهد»: إنني مع «مصباح»، غير أن ما أفكر فيه الآن هو: هل يمكن أن يمضيَ الليل دون هجوم منهم؟

ردَّ «أحمد»: تبعًا لترجمة الرسالة الشفرية التي ترجمها المقرُّ السري؛ فإن هجومهم سوف يكون مع بداية أول ضوء في الفجر.

تساءل «فهد» مرة أخرى: هل هذا يعني أننا لن نصطدم بهم قبل الفجر؟

لم يردَّ «أحمد» مباشرة؛ فقد كان يفكر في سؤال «فهد»، كان يقول لنفسه: صحيح، مَن يضمن أنهم لن يهاجمونا قبل الفجر؟

نظر إلى «فهد»، ثم قال: هذه تحتاج إلى مناقشة، ولا أستطيع الآن أن أقطعَ فيها برأي …

غير أنَّ خاطرًا مرَّ بذهنه بسرعة، فقال: إنني أقترح أن ننضمَّ إلى الشياطين في السيارة الخلفية، وأن نُحيطَ هذه السيارة بشحنة كهربائية؛ إذ إن وقوفنا هنا قد يدفعهم إلى مهاجمتنا، وفي هذه الحالة سوف تكون سيارتُنا نوعًا من الإنذار لنا.

قال «مصباح» متسائلًا: فإذا هاجموا السيارة الخلفية؟

ردَّ «أحمد»: عند ذلك سندخل معهم معركة بالتأكيد.

وبعد محاورات قرروا أن يُنفذوا اقتراح «أحمد» وأن ينتقلوا إلى السيارة الأخرى … نزل «أحمد» و«فهد» و«مصباح» … بسرعة ضغط «أحمد» بروازًا في مقدمة السيارة، ثم قال: الآن لا يستطيع أحدٌ الاقتراب منها؛ فهي مُكهربة تمامًا.

تحرَّكوا بسرعة … فقد كانت الأمطار لا تزال تنهمر بنفس قوتها. وعندما دخلوا السيارة الأخرى كانت هناك رسالة من رقم «صفر» … ترجمَها «رشيد»، وكانت تقول: «ما هو الموقف عندكم الآن؟»

ردَّ «أحمد» برسالة شفرية أخرى شرح فيها الموقف كاملًا … مرَّت دقائق قبل أن تأتيَ رسالةٌ أخرى من رقم «صفر» يقول فيها: «لا تتحركوا من مكانكم … كلُّ شيء سوف ينتهي!»

ابتسم «أحمد» وهو يقول: هل تنتهي مغامرتنا دون معركة؟!

قال «رشيد»: ماذا تعني؟

ردَّ «أحمد»: إنَّ ما أعنيه هو نفسه ما تعنيه رسالة الزعيم.

ولم تكن كلمات «أحمد» إلا بداية للأمنية التي تمنَّاها؛ فلم تمرَّ دقائق حتى كان ضوء قوي يُضيءُ المكانَ كلَّه. ضغط «رشيد» قدمًا في باطن السيارة، فخرجت المرآة العاكسة، وظهر الجانب الآخر. كانت هناك فرقة كاملة تتقدم في هدوء في اتجاه الشياطين، نظروا إلى بعضهم، ثم قال «أحمد» مبتسمًا: علينا باستخدام الإبر المخدرة سريعًا.

وفي لمح البصر كان الشياطين قد أخرجوا مسدساتهم وثبَّتوا فيها الإبر المخدرة. وفي إشارة واحدة انطلقَت ستُّ إبر في اتجاه فرقة العصابة. وفجأة سقط ستة منهم دون صوتٍ أو ضوء أو حركة، حتى إن الآخرين وقفوا جامدين.

مرة أخرى انطلقَت ستُّ إبر مخدرة، فأسقطت ستة آخرين ... نظر «أحمد» إلى الشياطين، وقال: ينبغي أن نتحرك!

ردَّ «بو عمير»: إنَّ تعليمات رقم «صفر» ...

قاطعَه «أحمد» قائلًا: إنني أعرف ماذا سيفعل رقم «صفر»، وأريد أن نساعد في التنفيذ.

تساءل «فهد»: ماذا تقترح الآن؟

ردَّ «أحمد»: سوف نغادر المكان بالسيارتَين، وبدايةً سوف نستخدم كرات الدخان ... إنَّ العصابتَين أمامنا في حالة دهشة مما يحدث، وقد يفكِّرون الآن في خططٍ قد لا تخطر على بالنا ... وقد تُفاجئنا؛ ولهذا ينبغي أن نُفاجئَهم نحن.

بسرعة ... استعد الشياطين بكرات الدخان الصغيرة ... ثبَّت كلٌّ منهم جهازًا خاصًّا على فوهة المسدس، ثم وضع فيه كرةً من كرات الدخان ... وعند إشارة «أحمد» خرجَت كراتُ الدخان في اتجاه العصابة، ولم يمضِ إلا وقتٌ قليل حتى كان الدخان ينتشر بسرعة.

في نفس الوقت الذي كانت فيه مياه الأمطار تُساعد على كثافة الدخان ... كان منظرًا طريفًا ... المطر يسقط والضوء يغمر المكان ... والدخان ينتشر، وأفراد العصابة كأنهم قد تجمَّدوا، فما يفعله الشياطين كان يملؤهم بحالة من الدهشة والاستغراب.

قال «أحمد» لـ «رشيد»: ينبغي أن نتحرك حتى نَصِل إلى السيارة الأمامية.

أدار «رشيد» موتور السيارة ثم تقدَّم في هدوء ... وفجأةً انطلقَت مجموعةٌ من الرجال في اتجاه السيارة ... كان واضحًا أنهم يريدون أن يستغلوا لحظة نزول «أحمد» و«فهد» و«مصباح».

همس «أحمد»: إنها فرصة ينبغي أن نشتبك في معركة، إن ذلك سوف يجعلهم لا يفكِّرون في خطط جديدة.

تقدَّم «رشيد» بالسيارة ببطءٍ ... كان يريد أن يُعطيَهم فرصة حتى يصلوا في نفس وقت وصوله ... وهذا ما حدث فعلًا ... التفَّ الرجال حول السيارتَين ... فتح «أحمد» البابَ المجاور له بعد أن أعطَى إشارة لبقية الشياطين ... ففعلوا نفسَ الشيء ... وكانت مفاجأة للرجال ... فقد صدمَتهم أبواب السيارة وأوقعَتْ عددًا منهم ... وكانت الفرصة سانحة ...

قفز الشياطين الواحد خلف الآخر إلى أفراد العصابة ... ضرب «أحمد» أقرب رجل إليه ... إلا أن الرجل كان قويًّا بما يكفي ... فتلقَّى الضربة ثم اشتبك مع «أحمد».

في نفس الوقت كان «فهد» قد تلقَّى ضربة من أحدهم ... تلقَّاها ببراعة، ثم ردَّ عليه بضربة قوية جعلتِ الرجلَ يتأرجح، وتابعَه بضربةٍ أخرى أوقعَته على الأرض، في حين كان «رشيد» قد طار في الهواء ثم ضرب اثنين منهما ... فاصطدمَا معًا ... كان المشهد غريبًا في هذه اللحظة؛ فالضوء الذي كان يَصِل إليهم يكاد يكون كلحظات التصوير في السينما ...

كان «أحمد» قد انتهى من الرجل الذي اشتبك معه ... وعندما استدار كان «مصباح» يطير في الهواء؛ فقد ضربه أحدهم ضربة قوية، ثم تبعه، إلا أن «أحمد» تلقَّاه بسرعة ودار حول نفسه دورة كاملة، ثم ضربه ضربةً أطاحَت به تمامًا ...

أمَّا «بو عمير» فقد كان يُمسك غصنًا ضخمًا ويدور به، فيُطيح بكل مَن يقابله، حتى إنه كاد يصدم «أحمد»، لولا أنه قفز قفزة عالية من فوق الغصن ... في حين كان «باسم» يُمسك أحدَهم ويضربه في ساق شجرة ... كانت معركة رهيبة ... انتهت عندما تردَّد صوت يقول: توقفوا!

فجأةً، توقَّف الرجال عن الاشتباك ... ووقف الشياطين في حذرٍ مستعدِّين لأيِّ اشتباك جديد ... كان «أحمد» يفكِّر مَن يكون صاحب الصوت؟

وأجاب بينه وبين نفسه: لا بد أنه أحد كبار العصابتَين!

تردد الصوت مرة أخرى: مَن أنتم؟ ولأيِّ جهة تنتمون؟

لم يردَّ أحد مباشرة ... كان الشياطين يفكرون: هل يدخلون معه في مناقشة يُضيعون بها الوقت؟

مرة ثالثة قال الصوتُ: إننا يمكن أن نتفق، فمَن أنتم؟

فكَّر «أحمد» بسرعة، ثم قال: نحن ننتمي إلى جماعة الزهرة القرمزية.

لم يردَّ الصوت، ولم يكن يسمع في هذه اللحظة سوى صوت المطر ... فكَّر «أحمد»: هل يُرسل رسالة إلى رقم «صفر»؟ في مثل هذه الحالة يمكن ألَّا تكون في صالحهم ... وضع يدَه في جيبه ليضغط جهاز الإرسال ... إلا أن الصوت قال: لا داعيَ لأيِّ اشتباكٍ جديد ... أرجو أن تُخرجَ يدَك من جيبك.

ابتسم «أحمد»، وقال: إنني لا أفكِّر في عمل أيِّ شيء.

لكنه كان قد ضغط زرَّ الجهاز، وكان رقم «صفر» يستطيع أن يسمع الحوار الذي يدور؛ ولذلك قال «أحمد»: ماذا تريدون؟

قال صاحب الصوت: نريد أن نتفق.

سأل «أحمد»: نتفق على ماذا؟

ردَّ الصوت: إننا من البداية كنَّا نعرفكم وأنتم ما زلتم حتى الآن تلبسون ملابس رجال الشرطة، يبدو أنكم لم تجدوا وقتًا لتغيير ثيابكم؟

سكت لحظة، ثم قال: لقد انتهى «فرانك» ... وهو الذي كان يستطيع أن يتحدث إليكم.

سكت مرة أخرى ثم قال: والآن نريد أن نتفق!

سأل «أحمد» مرة أخرى: على ماذا سوف نتفق؟

ردَّ الصوت: أن تكون المعلومات لنا جميعًا.

كان رقم «صفر» يسمع الحوار الدائر بين «أحمد» وصاحب الصوت ... وكان «أحمد» يعرف أن رقم «صفر» سوف يضع النهاية في اللحظة المناسبة ... خصوصًا وأنه يعرف الآن تفاصيل الموقف.

لم يكن «أحمد» قد ردَّ بأيِّ جواب ... فقال صاحب الصوت: إننا لم نسمع ردًّا ... ومع ذلك أعرض عليكم ... إمَّا أن تكونَ المعلومات لنا جميعًا ... أو نشتريَ نصيبكم منها.

أخفى «أحمد» ابتسامة وهو يقول: أظن أننا لا نستطيع أن نتفق هكذا ... إن المطر غزير، والمكان لا يسمح بالاتفاق.

قال الصوت: قد يكون عندك بعض الحق ... وينبغي أن نتفق أولًا، ثم ندخل في التفاصيل في مكانٍ آخر.

أخفى «أحمد» ابتسامةً أخرى، ثم قال: إذن لا بأس من الاتفاق.

سكت الصوت قليلًا، ثم قال: إذن هيَّا بنا إلى المكان المناسب ... إنه أمامكم تمامًا، فقط اركبوا سيارتكم.

انسحب الرجال الواقفون ... وخفتَ الضوء قليلًا ... كان المطر قد بدأ يتناقص ... تقدَّم الشياطين إلى سيارتهم، وهمس «أحمد»: أخشى أن تكون خدعة!

ردَّ «رشيد»: لا أظن ... فما حدث جعلهم يعرفون أننا نستطيع عملَ أيِّ شيء.

ركب الشياطين الـ «١٣» السيارتَين وتقدَّموا ... كان «فهد» يقود السيارة الأمامية، وكان يمشي ببطء ... فجأة جاءت رسالة من رقم «صفر» تقول: «أهنِّئكم، لقد أدرتم مغامرتكم بذكاء شديد ... سوف ينتهي كلُّ شيء بعد نقطة واحدة.»

ابتسم الشياطين ... فبعد ربع ساعة كان صوت سيارات الشرطة يملأ المكان ... وكان واضحًا أن سيارات الشرطة تُحيط الغابة كلها ... لحظة ثم جاء صوت طائرات تدور فوق الغابة ... مرَّت لحظات ثم جاء صوت ميكرفون يقول: لا داعي للمقاومة ... فلا فائدة!

في نفس الوقت تردَّد ضوءُ إشارة حمراء ... وجاء صوت يقول: الطريق مفتوح أمام الأصدقاء.

انطلقَت سيارتَا الشياطين ... وهمس «أحمد»: غدًا سوف نعود لنأخذ الحقيبة الحقيقية، ويكفيهم أنهم يملكون الحقيبة المزيفة ...

وشَهِد الليلُ خروجَ الشياطين من الغابة ورسالة رقم «صفر» تقول: «إنَّ الاجتماع بعد غدٍ في العاشرة مساء.»

وضحك الشياطين.

هنـــداوي